الباب السابع

القدس كما رأيتها فى أواخر عهد الانتداب البريطانى
(١٩٤٧)

أهميتها التاريخية	طرقها	إدارتها
موقعها الجغرافى	مجاريها	أمنها
طقسها	أمراضها ومستشفياتها	مستوى المعيشة فيها
جبالها	تجارتها	موارد رزقها
مياهها وأمطارها	أوزانها ومقاييسها	السياحة
مساحة أراضيها	صناعاتها	الموظفون
سكانها	شركاتها	المهن الحرة
مدارسها	بنوكها ومصارفها	الزراعة
مكاتبها	جمعياتها ونواديها	التجارة
متاحفها	بريدها	الحجارة
حدائقها	بلديتها	أعمال البناء

أهميتها التاريخية

لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه البسيطة الدور الذى لعبته مدينة القدس فى التاريخ . إنها وإن لم تكن من المدن التجارية الهامة ، لا ، ولا من المدن الزراعية أو الصناعية ، رغم وقوعها بين البادية من الشرق والبحر من الغرب ؛ إلا أنها كانت ، على مر الدهور ، مطمح أنظار الغزاة والفاتحين . فحوصرت مراراً ، وهدمت تكراراً ، وهجرت ، وأعيد بناؤها ثمانى عشرة مرة فى التاريخ . ولكنها ، بالرغم من هذا كله ، ظلت قائمة فى هذا الوجود ، وظل اسمها مذكوراً فى طليعة المدن والبلدان . ذلك لأنها مقدسة فى نظر جميع الأديان . وإنّا لا نتعدى الحق إذا قلنا إن قدسيّها هذه كانت ، فى أغلب الأحايين ، السبب فى شقائها ، وفيما أصابها من رزايا ومحن . وهذا قد بيناه بوضوح فى الفصول السابقة .

وكما إنّا حرصنا ، فى تلك الفصول ، على وصف الحالة التى كانت عليها القدس فى العهود الغابرة ، فإنا لا نرى بدّاً من وصف الحالة التى هى عليها اليوم ، واثقين من أن وصفنا هذا سيصبح ، فى يوم من الأيام ، تاريخاً للأجيال القادمة .

موقعها الجغرافى

إنها واقعة بين البحر الميت من الشرق ، والبحر الأبيض المتوسط من الغرب ؛ تبعد عن الأول ١٨ ميلا وعن الثانى ٣٢ ميلا . وهى مرتفعة نحو ٣,٨٠٠ قدم عن سطح البحر الميت و ٢,٥٠٠ قدم عن سطح البحر الأبيض المتوسط .

طقسها

طقسها جميل . وجوها صاف وهواؤها عليل يهب عليها من البحر نسيم بليل ، فيلطف حرها فى أشهر الصيف ، ويبرد هواءها فى الليل . ويكثر فيها الندى حتى ليتبلل به وجه الأرض وتقطر الأشجار .

الربيع فيها معتدل . وكذلك قل عن الخريف . وأما فى الصيف فتتراوح درجة الحرارة بين ٧٧ و ٨٦ بميزان فارنهايت . وقد ترتفع فى بعض الأحايين إلى المئة فتصحبها رياح جافة من الشرق والجنوب .

ولا تهب الريح فيها من الشمال . وألطف الرياح هى التى تهب من الشمال الغربى . وأما الرياح الغربية فإنها كثيرة الهبوب فى فصل الشتاء ، وكثيراً ما يعقبها أمطار .

وفصل الشتاء يدوم فى أغلب السنين من شهر كانون أول «ديسمبر» حتى شهر آذار «مارس» وهو بارد ، ويهطل الثلج فى بعض السنين ، ولكنه لا يدوم طويلا .

جبالها

القدس مدينة جبلية ؛ وكانوا فيما مضى يقولون إنها قائمة على خمسة تلال : (موريا) وهى الأكمة التى يقوم عليها الحرم القدسى . (أوفل) وهو السفح المطل على قرية سلوان من ناحية الحرم . (صهيون) وهو التل المطل على بركة السلطان من الغرب وقرية سلوان من الشرق ، ويقوم عليه حى النبى داود . (عكرة) حيث تقوم حارة النصارى فى الوقت الحاضر . (بيزيتا) وهو التل الممتد من باب حطة إلى باب العامود وما جاورهما .

وأما اليوم ، وقد اتسعت المدينة من جميع نواحيها ، فقد أصبح أمراً لازماً أن يضاف إلى تلك التلال ، تلال وآكام أخرى ؛ منها وأهمها : (جبل الزيتون) و (جبل المشارف) و (القطمون) و (المكبر) . ومعظم هذه الجبال جرداء ، لا أحراج فيها ولا غابات . وإنما تقوم عليها ميان ، تعتبر اليوم من أجمل مبانى المدينة .

أما (جبل الزيتون) فإنه واقع شرق المدينة . وإن تاريخه متصل بتاريخها . وهو لها ، من الناحية الحربية ، بمثابة الروح من الجسد . . فيه حطت جيوش الرومان رحلها على عهد تيطس (٧٠ ق م) . . . وكذلك فعلت معظم الأمم التى هبطت هذه الديار من قبل ومن بعد . فإن داود الملك عندما غادر أورشليم بسبب الثورة التى أوقد نارها ولده أبشالوم (١٠٤٩ ق م) أمّ جبل الزيتون ؛ ومنه ألقى على أورشليم نظرة الوداع ، فراح يبكى .

وكذلك فعل السيد المسيح (٣٠ م) . فإنه كثيراً ما كان يتردد إلى هذا الجبل . وعندما شعر بأن اليهود عازمون على الغدر به ، راح يتنقل من مكان

إلى مكان فى سفوحه . ولا بد أن القارئ الكريم يذكر أنه (أى السيد المسيح) التفت فى المرة الأخيرة ، وهو سائر صعداً فى سفحه الغربى ، إلى أورشليم ، وخاطبها قائلا : « يا أورشليم ! يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء ورجامة المرسلين ؛ كم مرة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة أفراخها . . ولكن لم يريدوا...»

والاعتقاد سائد بين المسيحيين بأن السيد المسيح صعد من على هذا الجبل إلى السماء . وللنصارى هنا عدد من الكنائس والأديار .

وهو مقدس فى نظر المسلمين . فقد ورد ذكره فى القرآن الكريم :

« والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين[1] » . ولقد عسكرت جيوش المسلمين فيه على عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب (٦٣٦ م) وعلى عهد صلاح الدين (١١٨٧ م) . وفيه دفن جماعة من شهداء المسلمين فى الفتحين العمرى والصلاحى .

وأما (جبل المشارف) فإنه فى شمال المدينة ومتصل بجبل الزيتون . ويسميه المقدسيون بالمشهد . والفرنجة باسكوبس . منه أطل الفاتح المقدونى العظيم المعروف باسكندر ذى القرنين على المدينة عندما جاء لفتحها (٣٣٢ ق . م) وعليه تقوم الآن أجمل منازل المدينة ، والجامعة العبرية والمستشفى اليهودى المعروف بهداسا ، ومقبرة أقامها الإنجليز لموتاهم الذين لاقوا حتفهم فى معارك بيت المقدس أثناء الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٧ م) .

وأما (القطمون) فإنه واقع جنوبى المدينة من الغرب . عليه دير قديم للروم يعرف بدير سمعان . بينه وبين محطة السكة الحديدية من الشرق سهل فسيح يعرف بالبقعة .

وأما (جبل المكبر) فإنه كائن قبلى المدينة وإلى الشرق من محطة السكة الحديدية . يفصل بينه وبين جبل الزيتون واد يعرف بوادى سلوان ، وبينه

---

(١) سورة التين .

وبين جبل صهيون واد يعرف بوادى الربابة .

كانوا فيما مضى يسمونه (جبل المؤامرة) و (جبل المشورة الفاسدة) . ويعتقد البعض أنه كانت تقوم عليه دار المجمع المعروف بالسنهدريم . تلك الدار التى قابل فيها يهوذا الأسخريوطى الكهنة ورؤساء الشعب اليهودى ؛ وتآمر معهم على تسليم السيد المسيح وصلبه .

وعلى جانب من هذا الجبل هضبة يقوم عليها ضريح المجاهد الإسلامى المعروف بـ (أبى ثور) . ومن هنا جاء اسم الحى الذى يقوم فوق هذه الهضبة : حى أبى ثور . ومن أسمائه جبل الثورى . و (أبو ثور) هذا[1] هو لقب الشيخ الإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد بن جمال الدين بن عبد الله بن عبد الجبار المعروف بالقرشى . وهو من المجاهدين الذين اشتركوا فى فتح القدس مع صلاح الدين . وكان يركب ثوراً .

وعلى جانب آخر من هذا الجبل كان يقوم ، فى أواخر العهد التركى وأوائل الاحتلال البريطانى ، حى يهودى عرف بـ (بنى يوسف) . ولكن اليهود راحوا يتزحون عنه فى أوائل القرن العشرين لبعده عن الأحياء اليهودية الأخرى . ثم هجروه بالمرة إثر الثورة التى قامت فى البلاد عام ١٩٢٩ . فاشتراه منهم العرب سكان الحى فى يومنا هذا .

مياهها وأمطارها

مياهها قليلة ؛ لا نهر فيها ، ولا ينبوع . وإنما هناك آبار تتجمع فيها مياه الأمطار فى فصل الشتاء . وبلغ معدل الأمطار التى هطلت خلال قرن

---

(١) (الأنس الجليل) لمجير الدين ص ٤١٠ و (بحر الأنساب فى الديار القدسية) للسيد على المرتضى ص ٧٠ و (سوانح الأنس فى رحلتى لوادى القدس) للرحالة مصطفى اللقمى مخطوط . ص ١٧٦ .

واحد (١٨٤٥ — ١٩٤٥ م) ٦٢٠ مليمتراً .

ولقد قاست القدس على مر الدهور ، ما قاست من جراء قلة الماء . وأما فى يومنا هذا فإنها تشرب من الصهاريج التى تتجمع منها مياه الأمطار ومن ثلاثة ينابيع كبيرة . أما الصهاريج فى استطاعتنا أن نقول إنه ليس ثمة منزل من منازل القدس إلا وفيه صهريج من هذا القبيل . وأما الينابيع فواحد منها فى (عين فارة) . وهى واقعة إلى الشمال الشرقى من المدينة وعلى بعد ثمانية أميال منها . والثانى عند (رأس العين) . وهى واقعة إلى الشمال الغربى منها وعلى بعد ٣٧ ميلا . وأن الماء الذى يأتيها من النبع الثانى لأغزر من الأول . وهناك أيضاً (برك سليمان) والينابيع التى حولها . و (وادى العروب) ، مما قد فصلناه فى غير هذا الموضع من الكتاب . فليرجع إليه من شاء .

وما نريد أن نقوله هنا هو أن القدس تشرب الماء فى يومنا هذا بكثرة وانتظام أكثر من أى وقت سبق .

مساحة أراضيها

٢٠,١٩٩ دونماً — منها ٨٦٨ دونماً فى المدينة القديمة داخل السور ، و ١٩,٣٣١ دونماً فى المدينة الجديدة خارجه . يملك العرب منها فى المدينة القديمة ٧٦٨ (أى ٨٨,٤٧ ٪) واليهود ١٠٠ (١١,٥٣ ٪) وأما فى المدينة الجديدة فللعرب ١٠,٤١١ (٥٣,٨٧ ٪) واليهود ٥,٠٥٠ (٢٦,١٢ ٪) وللحكومة ٥٦٠ (٢,٨٩ ٪) ، وهناك ٣,٣١٠ دونمات (١٧,١٢ ٪) عبارة عن طرق وميادين عامة وسكة حديدية وما إلى ذلك مما يشترك الجميع فى ملكيته .

ويمكننا تلخيص الأرقام المتقدم ذكرها ، من حيث الملكية فى المدينة كلها داخل الأسوار وخارجها ، كما يلى :

	دونم		
للعرب	١١,١٧٩	أى ٥٥,٣٤ ٪	(يدخل فى هذا الرقم أراضى الطوائف المسيحية)
لليهود	٥,١٥٠	» ٢٥,٥٥ ٪	
للحكومة	٥٦٠	» ٢,٧٧ ٪	
طرق وميادين عامة	٣,٣١٠	» ١٦,٣٤ ٪	
	٢٠,١٩٩	١٠٠ ٪	

هذه الأرقام اقتبسناها من مصلحة تسوية الأراضى (فرع الضرائب) التابع لحكومة فلسطين . والدونم عبارة عن ألف متر مربع .

سكانها

كان عدد سكان مدينة القدس فى ٨ تشرين الثانى ١٩٤٧ ، مئة وأربعة وستين ألفاً وخمسمئة ، موزعين كما يلى :

	عربى	يهودى	مجموع
فى البلدة القديمة داخل السور	٣٣,٦٠٠	٢,٤٠٠	٣٦,٠٠٠
فى الجزء العربى من البلدة الجديدة	٣٠,٠٠٠	٩,٠٠٠	٣٩,٠٠٠
فى الجزء اليهودى من البلدة الجديدة	١,٥٠٠	٨٨,٠٠٠	٨٩,٥٠٠
	٦٥,١٠٠	٩٩,٤٠٠	١٦٤,٥٠٠

وهذه الأرقام اقتبسناها من تقرير رفعه المستر جون مارتن المستشار البريطانى لمندوبى إنجلترة فى هيئة الأمم المتحدة بليك سكسس .

وإنا لا نرى بدأ من الرجوع إلى السنين الفائتة لنرى كم كان

الطوائف المختلفة التى كانت تعيش فيها ، وعدد كل طائفة منها بالنسبة للطوائف الأخرى فنقول :

كان المسلمون فيما مضى كثرة والمسيحيون قلة فى المدينة . وظلوا كذلك من الفتح العمرى حتى الفتح الصلاحى . فقد أشار إلى هذه الحقيقة سبط بن الجوزى فى كتابه (مرآة الزمان) . إذ قال إنه كان فى القدس عندما احتلها الصليبيون (١٠٩٩ م) مئتا ألف نسمة . وفى اعتقادى أن نصف هذا العدد جدير بأن يعتبر من سكان المدينة الأصليين والنصف الآخر من سكان المدن والقرى المجاورة جاءوا ليشتركوا مع سكانها فى الدفاع عنها . ولم يكن فيها يومئذ يهودى واحد .

ولما احتلها صلاح الدين (١١٨٧ م) غادرها معظم المسيحيين ممن استطاعوا دفع الجزية التى فرضها عليهم . ومن لم يستطع منهم دفع الجزية بقى فيها . وعدد هؤلاء كما ذكر المؤرخون كان يومئذ خمسة عشر ألفاً . وأما عدد سكان المدينة كلها فكان يومئذ أربعة وأربعين ألفاً . وقال السائح اليهودى بتاحيا الذى زار القدس عام ١٨٠٠ م إنه لم يكن فيها سوى يهودى واحد .

وأحصى سكان المدينة على عهد السلطان محمد الرابع (١٦٧٠ م) . فكانوا ستة وأربعين ألف نسمة . منهم ١٥٠ يهودياً . ولا نعلم شيئاً عن عدد المسيحيين فى ذلك الحين .

وذكر سركيس فى كتابه (السير السليم فى تاريخ أورشليم) أن عدد سكان القدس كان فى عام ١٨٩٠ كما يلى :

مسلمون	٧,٦٠٠	١٦,٨٨ ٪
مسيحيون	٧,٢٠٠	١٦,٠١ ٪
يهود	٣٠,٢٠٠	٦٧,١١ ٪
	٤٥,٠٠٠	١٠٠ ٪

وازداد عدد السكان بعد ستة أعوام (١٨٩٦م) فبلغ خمسين ألفاً .
وعندما زارها إمبراطور الألمان (١٨٩٨ م) كان فيها ثمانون ألفاً .
وبلغ عدد سكانها قبيل الحرب الكونية الأولى (١٩١٣ م) تسعين ألفاً .
وانخفض هذا العدد بسبب الحرب فأصبح فى نهايتها (١٩١٧ م) خمسين ألفاً .

ثم عاد ، فارتفع فى أوائل الاحتلال البريطانى (١٩٢٠ م) إلى واحد وستين ألفاً مقسمين كما يلى :

مسلمون	١٦,٠٠٠	٪ ٢٦,٢٢
مسيحيون	١٥,٠٠٠	٪ ٢٤,٥٩
يهود	٣٠,٠٠٠	٪ ٤٩,١٩
	٦١,٠٠٠	٪ ١٠٠

وفى نهاية عام ١٩٤٤ ارتفع عدد السكان إلى ١٥٧,٠٨١ مقسمين كما يلى :

مسلمون	٣٢,١٢٨	٪ ٢٠,٤٥
مسيحيون	٢٨,١٤٦	٪ ١٧,٩١
يهود	٩٤,٩٤٢	٪ ٦٠,٤٤
آخرون	١,٨٦٥	٪ ١,٢٠
	١٥٧,٠٨١	٪ ١٠٠

وهم اليوم (١٩٤٧) ، كما ذكرنا فى أول هذه السطور ١٦٤,٥٠٠ نسمة .

مدارسها

فى القدس مصلحة حكومية للتعليم يقوم على رأسها (١٩١٤ — ١٩٤٧ م) مدير إنجليزى يساعده خمسة من رجال الإنجليز . ويعمل تحت إمرته فى الإدارة العامة اثنان وعشرون موظفاً فلسطينياً : اثنا عشر منهم عرب مسلمون ، وستة عرب مسيحيون ، وأربعة يهود . وهذه الآلة الحكومية مسؤولة عن شؤون التعليم فى فلسطين كلها ، وليس فى القدس وحدها .

وأما القدس نفسها فإن فيها مئتين وخمس مدارس هى ملك لمختلف الأجناس والعناصر والأديان . وفيما يلى أسماء هذه المدارس وعدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات من كل طائفة ، كما اقتبستها من سجلات مصلحة المعارف (١٩٤٥ م)[1]

فهناك سبع مدارس إسلامية خصوصية وهى :

١ — كلية روضة المعارف الوطنية . ٢ — الكلية الإبراهيمية . ٣ — المدرسة المحمدية . ٤ — مدرسة الفلاح . ٥ — مدرسة الحكمة . ٦ — مدرسة البنات الإسلامية . ٧ — دار الأيتام الإسلامية .

وإحدى عشرة مدرسة حكومية للعرب من مسلمين ومسيحيين هى :

١ — الكلية العربية . ٢ — دار المعلمات . ٣ — المدرسة البكرية . ٤ — المدرسة العمرية . ٥ — مدرسة المصرارة . ٦ — مدرسة الشيخ جراح . ٧ — الكلية الرشيدية . ٨ — المدرسة العلوية . ٩ — مدرسة البقعة . ١٠ — المأمونية

---

(١) وفى كتابى المفصل عن (تاريخ القدس) ذكرت موقع كل مدرسة والتاريخ الذى أسست فيه كما ذكرت اسم مؤسسها ، وعدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات ، ومستوى التعليم فى كل واحدة منها . فليرجع إليه من شاء التفصيل .

القديمة . ١١ — المأمونية الجديدة .

والتعليم فى المدارس الحكومية ليس بإجبارى . وهو فى الصفوف الدنيا (من الصف الأول إلى الخامس) بالمجان . وأما فى الصفوف العليا فيدفع الطالب فى الصفين السادس والسابع (ابتدائى) ٥٠٠ ملا فى السنة . وفى الصفين الأول والثانى (ثانوى) جنيهاً واحداً ، وفى الثالث والرابع جنيهين .

وأما المدارس الخصوصية فلكل منها فئة خاصة ، لا تتدخل الحكومة فى تعيينها .

وسبع وثلاثون مدرسة مسيحية خصوصية هى :

١ — مدرسة الروم الأرثوذكس . ٢ — المدرسة الأرثوذكسية للبنات . ٣ — مدرسة السريان الأرثوذكس . ٤ — مدرسة الأرمن الابتدائية . ٥ — كلية اللاهوت الأرمنية . ٦ — مدرسة ترا سانطة للبنين . ٧ — مدرسة ترا سانطة للبنات . ٨ — ميتم ترا سانطة للبنين . ٩ — ميتم ترا سانطة للبنات . ١٠ — كلية ترا سانطة . ١١ — كلية الفرير ١٢ — مدرسة الفرير للبنين . ١٣ — مدرسة مار يوسف . ١٤ — مدرسة نوتردام دو سيون . ١٥ — ميتم نوتردام دو سيون . ١٦ — مدرسة مار فنسان . ١٧ — مدرسة ماربير دوسيون . ١٨ — مدرسة الإرسالية الفرنسية . ١٩ — المدرسة السالبرية . ٢٠ — مدرسة سان جورج الإنجليزية . ٢١ — كلية شميت الألمانية للبنات . ٢٢ — كلية البنات الإنجليزية . ٢٣ — مدرسة صهيون . ٢٤ — مدرسة كنيسة يسوع للبنات . ٢٥ — المدرسة السويدية . ٢٦ — مدرسة الأرمن البروتستانت . ٢٧ — بستان لأطفال الروم . ٢٨ — المدرسة الأرثوذكسية الوطنية للبنين . ٢٩ — مدرسة الأرمن الكاثوليك . ٣٠ — مدرسة سيدة صهيون الإنجليزية . ٣١ — مدرسة الجالية الإنجليزية . ٣٢ — مدرسة الأمة . ٣٣ — كلية النهضة . ٣٤ — مدرسة الشفقة . ٣٥ — المدرسة الأسقفية . ٣٦ — دار الأيتام السورية (شنلر) . ٣٧ — الصلاحية .

وهناك تسع وتسعون مدرسة يهودية ، بين عمومية وخصوصية . أما العمومية فإنها تدار بأموال خصصتها حكومة فلسطين لليهود من خزانة الدولة . وأما الخصوصية فإنها تدار بأموال تبرع بها بعض المؤسسات اليهودية وعدد من أثرياء اليهود .

ومن المدارس العمومية اليهودية :

تسعة بساتين للأطفال فى زكرون موشة ، ومذكرت موشة ، ويمين موشة ، ومحنة يهودا ، وشمعون صادق ، وجبعات شاءول ، وبيت هايلد ، وكرن أبراهام .

وبستان لأطفال العمال ، ومدرسة ابتدائية للعمال أنفسهم .

وتسع مدارس ابتدائية فى رحافيا ، وتل بيوت ، وصوقولوف ، وشقولى ، وروحاما ، وتحكمونى ، وعيرونى ، وبيت مناحيم ، وكرن أبراهام .

وعدد من الكتاتيب للمزراحيين ، والسفراديم ، وأبناء اليمن

وآخر للبنات المزراحيات

وثلاث مدارس ثانوية فى بيت هاكيرم ، وبفروت ، ومعلى

ومدرسة رفقا صوماخ ، ودورش صهيون ، وبصاليل الجديدة .

ودار للتربية ، ودار لتعليم العبرية ، ودار للمعلمين المزراحيين ، ودار للمعلمات المزراحيات .

ومن المدارس الخصوصية اليهودية :

أربعة وثلاثون بستاناً للأطفال

وتسع عشرة مدرسة ابتدائية

وست مدارس ثانوية ، وثلاث وثلاثون مدرسة لتعليم التلمود ، وست دور للأيتام ، ودار للفنون ، ومدرسة تجارية للبنين ، وأخرى للبنات ، وثلاث دور للمعلمات ، ومدرسة زراعية .

وهناك (الجامعة العبرية) على جبل الزيتون . وهى الجامعة الوحيدة لا فى القدس وحدها وإنما فى فلسطين .

ويتلخص عدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات فى المدارس المتقدم ذكرها كما يلى :

	العدد	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
المدارس الإسلامية الخصوصية	٧	١١٠١	٢٨٠	٤٦	١٤
المدارس العربية الحكومية					
إسلامية ومسيحية	١١	١٩٠٠	١٨٦١	٦٨	٥٧
المدارس المسيحية الخصوصية	٣٧	٤٣١١	٣٥٥٣	١٩٣	٢٦٩
المدارس اليهودية العمومية	٣٠	٤٠٤٣	٥١٨٨	٢٧٧	٢٠٣
المدارس اليهودية الخصوصية	٦٩	٦٦٣٠	٥٣٩٥	٣٦٢	٣٠٧
	١٥٤	١٧٩٨٥	١٦٢٧٧	٩٤٦	٨٥٠

وبعبارة أخرى :

	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
المسلمون	٣٥٠٢	٢٣٠٧	١٠٧	٥٣
المسيحيون	٣٤١٦	٣٠٩٨	٢٠٠	٢٨٧
اليهود	١١٠٦٧	١٠٨٧٢	٦٣٩	٥١٠
	١٧٩٨٥	١٦٢٧٧	٩٤٦	٨٥٠

وإنه لجدير بالذكر أن اليهود تمكنوا فى عهد الانتداب من الحصول على حصتهم من الأموال التى خصصت للتعليم ؛ فأنفقوها كما يشاءون ، وأنشأوا من المدارس ما هم فى حاجة إليه ، وساروا فى إدارة مدارسهم على مناهج وضعوا أسسها بأيديهم ، فلم يتدخل الإنجليز فى شؤونهم من هذه الناحية .

على النقيض من الخطة التى ساروا عليها فى إدارة المدارس العربية الحكومية . فقد كانوا (أى الإنجليز) يديرونها كما يشاءون، ويرسمون مناهجها كما يرغبون .

دور الكتب

وفى القدس تسع وأربعون مكتبة ، تغشاها الجماهير فى أى وقت شاءت . وإنّا لذاكروها فيما يلى حسب تاريخ تأسيسها :

١ ــ مكتبة القديس المخلص	١٥٥٨
٢ ــ مكتبة الخليلى	١٧٢٥
٣ ــ مكتبة البطريركية الأرثوذكسية	١٨٦٥
٤ ــ مكتبة كنسية القديس جورج	١٨٩٠
٥ ــ المكتبة الإنجيلية الأثرية الفرنسية	١٨٩٠
٦ ــ مكتبة الجامعة العبرية	١٨٩٢
٧ ــ مكتبة الجمعية الروسية الأرثوذكسية	١٨٩٥
٨ ــ المكتبة الخالدية	١٩٠٠
٩ ــ مكتبة المدرسة الأميركية للبحث عن الآثار الشرقية	١٩٠١
١٠ ــ مكتبة المعهد الألمانى الإنجيلى	١٩٠٢
١١ ــ مكتبة بصاليل الصناعية	١٩٠٦
١٢ ــ مكتبة الكلية العربية	١٩٢٠

١٣ ــ مكتبة مدرسة الآثار البريطانية	١٩٢٠
١٤ ــ مكتبة مصلحة الزراعة بحكومة فلسطين	١٩٢٠
١٥ ــ مكتبة مصلحة المعارف بحكومة فلسطين	١٩٢٠
١٦ ــ مكتبة القوانين فى محكمة العدل العليا	١٩٢٥
١٧ ــ مكتبة المسجد الأقصى	١٩٢٧
١٨ ــ مكتبة الآباء اليسوعيين	١٩٢٧
١٩ ــ مكتبة المتحف الفلسطينى	١٩٢٨
٢٠ ــ مكتبة مدرسة نيومن للإرساليات	١٩٢٨
٢١ ــ مكتبة غولبنجيان الأرمنية	١٩٢٩
٢٢ ــ مكتبة الدراسات الإنجيلية الفرنسيسية	١٩٢٩
٢٣ ــ مكتبة بنى بريت فى أورشليم	١٩٣٠
٢٤ ــ مكتبة جمعية الشبان المسيحيين	١٩٣٣
٢٥ ــ مكتبة دار التموين للشؤون الاجتماعية	١٩٣٤
٢٦ ــ مكتبة شوتن	١٩٣٥
٢٧ ــ مكتبة مصلحة الإحصاءات بحكومة فلسطين	١٩٣٦
٢٨ ــ مكتبة معهد الأبحاث الاقتصادية بالوكالة اليهودية	١٩٣٦
٢٩ ــ مكتبة مصلحة الإذاعة بحكومة فلسطين	١٩٣٦
٣٠ ــ مكتبة المعهد الثقافى الفرنسى	١٩٣٧
٣١ ــ مكتبة يشارون	١٩٣٩
٣٢ ــ مكتبة العمال	١٩٤٠
٣٣ ــ مكتبة المعهد البريطانى	١٩٤٤
٣٤ ــ مكتبة قلم المطبوعات بحكومة فلسطين	١٩٤٤

وهناك مكتبات لا نعرف تاريخ إنشائها : كمكتبة دير الصليب الأرثوذكسية ، ومكتبة الآباء الفرنسيسيين ، والمكتبة الكائنة فى دير الدومينيكان .

ومكتبات خصوصية ، يملكها بعض الأشخاص والأسر : كالمكتبة التى أنشأها الشيخ خليل الخالدى ، وعبد الله مخلص ، وإسعاف النشاشيبى ، وإسحق موسى الحسينى ، وخليل السكاكينى ، ومؤلف هذا الكتاب ، وغيرهم كثيرون .

ومكتبات عائلية كالمكتبة الحسينية ، والمكتبة الدوادية ، والمكتبة الفخرية لآل أبى السعود ، ومكتبة آل جار الله ، ومكتبة آل قطينة ، ومكتبة آل البديرى ، ومكتبة آل الإمام ، ومكتبة الترجمان .

متاحفها والجمعيات التى تبحث عن آثارها

فى القدس متاحف كثيرة : نذكر منها : (المتحف الحكومى) وهو فى طليعتها . ولقد أنشئ هذا المتحف بمال وهبه الثرى الأميركى المعروف روكفيلر J.D. Rockefeller فقد رصد هذا (١٩٢٧ م) لمشروع المتحف مليونين من الدولارات . صرف منها نصف مليون للبناء ، ونصف مليون للأثاث والكتب ، واحتفظ فى بنك إنجلترا بمليون دولار ليصرف ريعها على إدارة المتحف . وتولى عمارته كبير المهندسين الحكوميين فى ذلك الحين المستر هاريسون B. Harrison . وفتح المتحف أبوابه للجمهور سنة ١٩٣٨

إنه كائن تجاه الزاوية الشمالية الشرقية للسور ، وعلى بعد بضعة أمتار منه ، بين باب الساهرة والحى المعروف بوادى الجوز . فيه مجموعة قيمة من الآثار الفلسطينية وفيه مكتبة قيمة .

وهناك (المتحف الإسلامى) أسسه المجلس الإسلامى الأعلى عام ١٩٢٣ . وهو كائن فى بناء من أبنية الحرم ، على مقربة من المسجد الأقصى . فيه مجموعة قيمة من الخزف والبلاط القاشانى النفيس ؛ ومجموعة من النقوش القديمة ، والكتابات العربية المكتوبة بالخط الكوفى ، والنوافذ القديمة المرصعة بالفسيفساء ومجموعة من المصاحف الشريفة والنقود التى سكت فى العهود الإسلامية الأولى

وفى القدس جمعيات عديدة تبحث عن الآثار ؛ منها : المدرسة البريطانية للبحث عن الآثار The Pale. Exploration Fund. Brit. School of Archeology وجمعية البحث عن الآثار الفلسطينية ؛ والمدرسة الفرنسية للبحث عن التوراة والآثار القديمة Ecole Biblique et Archeologique Française والمعهد الشرقى لجامعة شيكاغو The Oriental Institute of the University of Chicago والجامعة العبرية ، والجمعية اليهودية للبحث عن الآثار الفلسطينية . والمعهد الشرقى الألمانى . والمعهد الإنجيلى الألمانى للبحث عن آثار القرون الوسطى فى البلاد المقدسة والمدرسة الأميركية للبحث عن الآثار الشرقية . American School of Oriental Research

حدائقها

فى القدس ، من الحدائق والميادين العامة ، أربع عشرة حديقة وميداناً . مجموع مساحتها سبعة وسبعون دونماً ، كلها خارج السور . وليس بداخل السور حديقة واحدة ، أو ميدان يتجمع الناس فيه خلا ساحة الحرم القدسى . هذا عن الحدائق العامة ، وأما الحدائق الخاصة ، فإنها كثيرة ، ولا سيما خارج السور ، يكاد لا يخلو منها منزل واحد .

طرقها

بلغت طرق المدينة التى تصل بين الأحياء ويطرقها الجمهور من الطول ، عام ١٩٤٧ م، مئة وستة وأربعين كيلو متراً . منها ٩٦ كيلومتراً معبّد ومرصوف بالأسفلت . والباقى غير معبّد ، ولا مرصوف .

وهناك طرق معبّدة ومرصوفة رصفاً متقناً تربط القدس بالبلاد المجاورة . منها : (طريق القدس — يافا) أنشئت لأول مرة سنة ١٢٨٤ للهجرة وعبدت فى أوائل القرن العشرين . إنها أقدم طريق معبدة . طولها ٦٣ كيلومتراً . و (طريق القدس — نابلس) بدأ الأتراك فى إنشائها سنة ١٩٠٣ م . وأتموها فى سنة ١٩٠٧م . وطولها ٦٥ كيلو متراً . وقد رصفت بالأسفلت فى أوائل الاحتلال البريطانى . و (طريق القدس — أريحا — جسر النبى) طولها ٤٦ كيلو متراً ونصف الكيلو متر . و (طريق القدس — الخليل — بئر السبع). طولها ٩٨ كيلو متراً . وهى أول طريق عبدها الإنجليز بعد الاحتلال .

وفيها محطة للسكة الحديدية، وهى واقعة فى جنوبى المدينة ، منح امتياز هذا الخط ، بادىء ذى بدء ، إلى يوسف نافون أفندى سنة ١٨٨٨ م . وكانت مدته ٧١ سنة . ثم باع صاحب الامتياز امتيازه هذا سنة ١٨٨٩ إلى شركة الخطوط الحديدية العثمانية ليافا — القدس ، وهى شركة فرنسية . فباشرت هذه عملها فى السنة نفسها وأتمته فى شهر أيلول سنة ١٨٩٢ م . فربطت القدس بيافا بسكة حديدية .

إنه خط ضيق عرضه متر واحد وطوله ٨٧ كيلومتراً . يجتاز فى طريقه ١٧٦ جسراً . سبعة منها حديدية ، والباقى من حجر .

مجاريها

فى القدس مجرى لتصريف الأقذار ، يتبع فى معظم اتجاهاته المجرى الرومانى القديم[١] . وهذا المجرى يقطع المدينة القديمة من الشمال إلى الجنوب . فيبدأ عند باب العمود ، ثم يمر بحارة الواد وباب السلسلة وحارة المغاربة ، إلى أن ينتهى عند القرية المعروفة بسلوان قبلى المدينة ، ولقد نفع هذا المجرى المدينة قرابة خمسة عشر قرناً . وظهر من الحجارة المتنوعة التى استعملت فى بنائه أنه رمم مراراً وتكراراً بعد الفتحين : العمرى والصلاحى ، وفى زمن المماليك والأتراك .

هذا هو المجرى الأساسى فى المدينة القديمة . وله مجار فرعية تصل بينه وبين أحياء المدينة الأخرى داخل السور .

وأما فى الأحياء الجديدة ، خارج السور ؛ تلك الأحياء التى ظهرت فى أواسط القرن التاسع عشر ؛ فإن كل ما نعرفه عن مجاريها ، أن الأتراك ربطوا فى أواخر عهدهم بهذه البلاد القطاع الكائن بين باب العمود والمصرارة والكرم المعروف بسعد وسعيد بالمجرى الرومانى المتقدم ذكره .

وأنشأت حكومة فلسطين ، فى أوائل عهد الانتداب (١٩٢٠ م) ، مجرى جديداً فى القطاع الكائن بين باب الخليل وفندق النبى ، على بعد نصف ميل

---

(١) ورد ذكر مجرى الأقذار فى عدد كبير من الكتب والأسفار . ومنه يفهم أن الرومان أنشأوا خلال القرن الأول للميلاد ، مجرى لتصريف الأقذار . وأنهم عادوا فى القرن الرابع فأنشأوا مجرى آخر . ويجوز أنهم فى المرة الثانية لم ينشئوا مجرى جديدا وإنما عمروا المجرى القديم . ولقد ذكرنا ذلك بشىء كثير من الإسهاب فى الكتاب الذى بحثنا فيه (تاريخ القدس) بالتفصيل . وفيه أشرنا إلى الحفريات التى قامت بها بلدية القدس فى عامى ١٩٣١ — و ١٩٤٢ والتى أدت إلى العثور على المجارى القديمة .

من الباب المذكور إلى الغرب ، وعند الباب تم اتصاله بالمجرى القديم .

وتابعت الحكومة المشار إليها عملها ؛ فأضافت بعض الأقسام الجديدة إلى المجرى القديم ، وربطت به الأحياء الآتى ذكرها : — مياشوريم . بيت إسرائيل. شنلر . كرم رصاص ، طريق الحبس . شارع تشانسلور . روخاما . المركز التجارى (الشماعا) . الحى الكائن بين ماملا والمركز التجارى . فندق الملك داود . الحى الكائن بين محنة يهودا وباب الخليل . الحى الكائن بين جبل الزيتون والمتحف الفلسطينى من وادى الجوز . الحى الكائن بين قشلاق اللنبى وبركة السلطان على طريق بيت لحم .

وحفرت البلدية ، حوالى عام ١٩٣٨ ، مجرى كبيرا لتصريف الأقذار من باب العامود فوادى الجوز ، فالجسمانية ، فوادى قدرون ، إلى أن ينتهى فى وادى السواحرة قبلى قرية سلوان .

ولقد وقفت حركة إنشاء المجارى فى الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٤م) لقلة الأسمنت والحديد والمواد اللازمة للتعمير والإنشاء .

حدثنى الخبراء فقالوا إن فى القدس اليوم (١٩٤٦ م) مجارى ، طولها ستة وخمسون كيلو متراً . ثمانية منها قديمة (ستة فى داخل السور واثنان فى خارجه) وثمانية وأربعون حديثة ، كلها خارج السور . والمجارى الحديثة أيضاً مرتبطة بالمجرى الرومانى القديم . وهى عبارة عن قساطل مصنوعة من الخزف المدهون . ذات قطر يتراوح بين الست بوصات والأربع والعشرين بوصة .

أمراضها ومستشفياتها

الأمراض المعروفة بالقدس . والمنتشرة فيها أكثر من غيرها ، هى :
النزلة الصدرية . التيفوئيد . مرض الزهرى . التدرن الرئوى . السعال الديكى

الحمرة . الحصبة . الديزانتارية . داء الخانوق . الحمى النفاسية . الالتهاب السحائى . الالتهاب الحاد فى الأعصاب . الجذام .

وفى القدس (مصلحة حكومية) أسيست لمكافحة هذه وغيرها من الأمراض وفيها ستة عشر مستشفى ، إليك أسماءها ومواقعها :

(مستشفى الحكومة) واقع غربى المدينة وفى المكان المعروف بالمسكوبية ، فيه دار للولادة وفرع للجراحة وآخر للأمراض الباطنية . وفيه مدرستان : واحدة لتدريب الممرضات ، وأخرى للقابلات . . وهو من أملاك الروس .

(المستشفى الفرنسى) واقع على مقربة من سور المدينة إلى الشمال ، تجاه الباب الجديد . بناه الكونت دى بيالا Count De piellat عام ١٨٨٠ ، إنه من أملاك الآباء الانتقاليين . ويسميه الفرنسيون (مستشفى القديس لويس)

(مستشفى مار يوحنا) واقع فى البقعة ، على طريق باب الخليل — المحطة . وهو للعيون . بنى عام ١٨٦١ . يسميه الإنجليز مستشفى سان جون . وهو تابع للإرسالية التبشيرية الإنجليزية .

(مستشفى تيخو) وهذا أيضاً مخصص لمداواة أمراض العيون . أسسته فى أول الأمر جمعية ألمانية أسست فى فرنكفورت للعناية بشؤون صهيون (١٩٠٦ م) وعهدت بإدارته إلى طبيب سويسرى يدعى الدكتور إيرلانجر . ثم تولى إدارته الدكتور تيخو . كان فى بادىء الأمر فى الحى المعروف بميشوريم . ثم انتقل إلى شارع منورا .

(مستشفى الإرسالية الإنجليزية) ويسميه الإنجليز مستشفى جمعية يهود لندن لأنه بنى بقصد مساعدة اليهود ، ولا سيما أولئك الذين يراد تنصيرهم . إنه واقع غربى المدينة على مقربة من الحى المعروف بالشيخ عكاشة . بناه المطران جورج فرنسيس بوبهام بلايث George Francis Popham Blyth (١٨٨٧ — ١٩١٤)

(المستشفى الألمانى) فى الحى المعروف بالشيخ عكاشة ، غربى المدينة

بناه الألمان عام ١٨٩٤ م . وكان المقدسيون فى بدء عهد تأسيسه يسمونه (مستشفى المجيدى) إذ كان كل مريض يدفع عن نفسه ريالا مجيدياً عثمانياً واحداً مهما طال أجل إقامته فيه . أغلق عام ١٩٣٩ بسبب الحرب الكونية الثانية التى نشبت بين الإنجليز والألمان .

(مستشفى الهداسا) كان فيما مضى يسمى مستشفى روتشلد ، وكان واقعاً فى نفس الشارع الذى يقوم عليه المستشفى الألمانى ومستشفى الإرسالية الإنجليزية ؛ شرقى الحى المعروف بالشيخ عكاشة ، وإلى الشمال من المسكوبية . فيه مدرسة للممرضات أسستها هنريتا زولد زعيمة الجمعيات النسائية اليهودية فى الولايات المتحدة والمعروفة بهداسا . ومعهد للطب أسسه الدكتور رنتوف رئيس الجمعية الطبية اليهودية فى الولايات المتحدة . ثم نقلوه إلى عمارة ضخمة بناها اليهود على جبل الزيتون . وكان ذلك فى أوائل القرن العشرين . وهو الآن أضخم مستشفى فى المدينة . فيه أقسام للجراحة والولادة والأمراض الجلدية والتناسلية وأمراض العيون والأطفال .

(المستشفى الإيطالى) عند مفترق الطرق المؤدية إلى باب الخليل وحى المصرارة وميشورم . أسسه الإيطاليون فى أوائل القرن العشرين . وظل مفتوح الأبواب للسكان حتى نشبت الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ م) وراح الطليان يحاربون الإنجليز فى أفريقيا الشمالية .

(مستشفى الأمراض السارية) تديره الحكومة . وهو واقع عند مفترق الطرق المؤدية إلى بيت لحم وبيت صفافا والقدس .

(مستشفى البرص) واقع فى مكان متوسط بين حى الطالبية من الشمال وحى النمامرة من الجنوب والحى الألمانى من الشرق . شيده بادىء ذى بدء المجلس البلدى وكان ذلك عام ١٨٦٧ م . وتديره الآن الجمعية المورافية بلندن . وتمده الحكومة بالمال .

(مستشفى بيكور خوليم) عند مفترق الطرق المؤدية إلى رحافيا وشنلر وباب العمود والشيخ بدر ، تجاه المستشفى الألمانى من الغرب . كان فى الأصل فى الحى اليهودى داخل السور . أسسه اليهود فى أواخر الحكم التركى . وفى أوائل الاحتلال البريطانى نقلوه إلى مكانه الجديد خارج السور .

وهناك مستشفيات يهودية أخرى منها : (شعارى صادق) ويسمونه مستشفى ولخ نسبة للدكتور ولخ الذى عمل فيه حيناً من الدهر . وهو واقع غربى المدينة على طريق يافا .

و (مزغاب لاداخ) فى حارة اليهود بالمدينة القديمة .

و (مستشفى سادوفسكى) فى حى رحافيا إلى الغرب من مدرسة شميت الألمانية ؛ سمى كذلك نسبة لمؤسسه الدكتور سادوفسكى . وهو معد للولادة فقط .

وهناك مستشفيان للأمراض العقلية : أحدهما يهودى أنشأته جمعية تعرف بـ (عزرات نشيم) وهو واقع غربى القدس عند مفترق الطريق المؤدية إلى يافا وعين كارم . والثانى للحكومة . وهو واقع فى بيت لحم .

وفيها عدد كبير من المستوصفات التى أسست لمعالجة المرضى من الفقراء وعدد كبير أيضاً من المراكز التى أسست لرعاية الأطفال ، وملاجىء للعجزة والمقعدين .

ومع ذلك فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الخدمات الاجتماعية المجانية ، رغم جميع المستشفيات والمستوصفات التى ذكرناها فى الأسطر المتقدمة ، قليلة ؛ تكاد لا تفى بالغرض المنشود . وفى القدس ٤٩ صيدلية منها ٨ للمسلمين و ٧ للمسيحيين و ٣٤ لليهود . وفيها ١٥ مستودعاً للعقاقير وبيع الأدوية بالجملة . نصفها للعرب والنصف الآخر لليهود .

تجارتها

قلنا فى غير هذا الموضع إن القدس مدينة جبلية . وإنها ليست بمدينة زراعية ، ولا صناعية . ولهذا فإنها تستورد معظم حاجاتها ، إن لم نقل كلها ، من الخارج . أما القمح وسائر أنواع الحبوب فإنها تستوردها من شرق الأردن وحوران ، وتستورده فى بعض الأحيان من استراليا والعراق . وأما الأغنام فمن نجد والعراق وبر الأناضول .

وأما الخضر (كالبندورة والقرع والخيار والملفوف والقنبيط والجزر والبامية والملوخية والبطاطا والفاصوليا وما إلى ذلك) فمن اللد والرملة وقراهما ، ومن قلقيلية وطول كرم وضواحيهما ، ومن الشونة وأريحا وما بينهما ، ومن الخليل ورام الله وقراهما ، ومن خان يونس وغزة وقراهما ، ومن قرى القدس نفسها ، وفى بعض الأحيان من مصر والشام .

وكذلك قل عن الفواكه . فإنها تأتى من جميع الجهات :

فالموز ، مثلا ، من أريحا وبيسان . . . والبرتقال والليمون وسائر أنواع الحمضيات من يافا وأريحا واللد . . . والبطيخ من خان يونس وطول كرم . . . والشمام من النعانى وقاقون . . . والبلح من خان يونس والعريش . . . والعنب من الخليل ورام الله وقراها ومن ضواحى غزة كالجورة وحمامة وبربرة . . . والمشمش والخوخ والبرقوق والإجاص والتفاح من قالونيا وأرطاس ومن عين كارم والمالحة والوبلحة وبتير . . .

ويأتيها السمك من يافا وغزة ومن العقبة

وقصارى القول إن الفواكه والخضر بجميع أنواعها وألوانها ، لا تنقطع

من أسواق القدس ، لا فى الصيف ولا فى الشتاء . وكذلك قل عن جميع أنواع الطيور والأسماك .

وفى القدس أسواق عديدة ، جلها مرصوف وبعضها يقوم على قبو مرتفع . والأسواق التى فى داخل المدينة القديمة معوجة وضيقة يزدحم الناس فيها بكثرة ، ويزداد هذا الازدحام فى المواسم والأعياد .

وفى القدس كلها ٥١١٠ دكاكين معدة للتجارة : — منها ١٣٥٨ للمسلمين و ٩٥٤ للمسيحيين و ٢٧٩٨ لليهود . يدخل فى هذه الأرقام الدكاكين المعدة لبيع الخبز ، والسمك ، واللحوم ، والمخابز والأفران ، ومطاحن القمح والحبوب ؛ والمحال المعدة لبيع الدواجن ، والبيض ، والألبان ؛ ومعامل الحلويات ، والثلج ؛ ومطاحن البن ؛ والمصابن ، ومعاصر الزيت والسيرج ، والمشروبات الروحية ؛ والفنادق ، والمطاعم والمقاهى ، ودور السينما ، والصيدليات ، ومعامل الورق والأحذية ، والزجاج ، والجلود ، والخياطة ، والنجارة ، والحدادة ، والسنكرة ، والتصوير ، والأمكنة المعدة لبيع السجاد والشمع والآثار والتحف القديمة ؛ وما إلى ذلك من المخازن والمستودعات والدكاكين والحوانيت المختلفة .

ولقد ذكرنا ما تملكه كل طائفة على حدة من هذه الدكاكين فى كتابنا المفصل عن (تاريخ القدس) . فليرجع إليه من شاء .

أوزانها ومقاييسها

إن الأوزان التى يفرض القانون استعمالها فى بيت المقدس هى :

(الدرهم) وقيمته ٣,٢٠٥ غرامات

(الأقة) وقيمتها ٤٠٠ درهم

(الكيلو) وقيمته ١٠٠٠ غرام
(الطن) وقيمته ١٠٠٠ كيلو غرام
(الأوقية) وقيمتها ٧٥ درهماً = ٢٤٠,٣٦٧ غراماً
(القنطار) وقيمته ١٠٠ رطل
(الرطل) وقيمته ١٢ أوقية

وأما المقاييس القانونية فهى :

(الذراع) عبارة عن ٦٧,٧٥ سنتيمتراً للثياب و ٧٥,٨٠ سنتيمتراً للأراضى والأبنية . وما عدا ذلك فإنه عبارة عن ٢٤ قيراطاً .

(الدونم) للمقاييس التى تمت فى العهد التركى وهو ١٦٠٠ ذراع مربع . وقد جعل فى عهد الاحتلال البريطانى ١٠٠٠ متر مربع .

صناعاتها

ليست القدس من المدن الصناعية الهامة ، وإن كان فيها صناعات قليلة لفتت إليها الأنظار : كصناعة الغزل والنسيج ؛ وصناعة القاشانى ، والخزف ، والشمع ، وخشب الزيتون ، والنخل ، وصناعة البلاط ، وقلع الحجارة وقطعها ، والقرميد ؛ وأدوات الزينة ، والهدايا ذات الرموز الدينية : واستخراج زيت السمسم .

أما صناعة الغزل فقد نشأت فى أثناء الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٧ م) عن طريق جمعية الصليب الأحمر الأميركية . إذ أسست هذه أنوالا لتشغيل اللاجئين إلى القدس من أبناء الطائفة الأرمنية ، بدلا من توزيع الهبات

عليهم . فراح هؤلاء يغزلون وينسجون . وهكذا انتعشت صناعة الغزل والنسيج فى المدينة .

وعملت ، بعدئذ ، جمعية أنصار القدس على تشجيع هذه الصناعة . ومن أجل الوصول إلى تلك الغاية أنفقت مبلغاً من المال على تعمير سوق القطانين (١٩١٩) . تلك السوق التى أرادت جعلها مقراً لصناعة النسيج . إلا أن هذه الفكرة لم تنجح .

وعندما نشبت الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٤) عادت صناعة النسيج فانتعشت . وفى القدس الآن مئة واثنان وثلاثون مصنعاً للنسيج والحياكة . منها ٥٢ للمسلمين و ١٣ للمسيحيين و ٦٧ لليهود .

وأما صناعة القاشانى فقد كانت ، فى الربع الأول من القرن العشرين ، منحصرة فى رجل أرمنى اسمه (داود أوهانسيان) وفى دار الأيتام السورية المعروفة بـ (شنلر) ، وهى مؤسسة ألمانية . وعندما شعر المجلس الإسلامى الأعلى (١٩٢٧ م) بالحاجة لتعمير مسجد الصخرة ، وكان معظم القاشانى الموجود فى هذا البناء من القرن السادس عشر قد أصابه البلى ، استحضر الخبراء من كوتاهية وإستامبول . ودرب هؤلاء عدداً من أبناء بيت المقدس ، فبنوا الأفران ، وصنعوا من البلاط القاشانى ما لا يقل جودة عما صنعه الأقدمون .

وكذلك قل عن صناعة البلاط وعن صناعة القزاز والخزف . فإن هذه وإن كانت عرفتها القدس فى الأزمنة الغابرة . إلا أنها لم تنتعش هنا انتعاشها فى مدينة الخليل .

وأما صناعة الشمع فإنها من الصناعات التى اشتهرت فى القدس . والشمع المقدسى مرغوب لدى الأجانب والسياح . وتباع منه مقادير كبيرة فى الأعياد ، ومن هنا كانت تجارة الشمع ولا تزال رائجة فى هذه المدينة .

وكذلك قل عن صناعة خشب الزيتون ؛ فإن فى القدس عمالا ماهرين

أتقنوا ، مع الزمن ، هذه الصناعة . فتراهم يحفرون على خشب الزيتون أشكالا متنوعة وبإتقان عجيب . ويصنعون من هذا الخشب أدوات مكتبية دقيقة الصنع ، ولعبا للأطفال ، وما إلى ذلك من آلات الزينة والهدايا ذات الرموز الدينية التى تستهوى الأجانب الذين يهبطون هذه المدينة بقصد الزيارة .

واشتهر المقدسيون أيضاً فى جدل سعف النخل ؛ وفى الصور النباتية ، تصور لك سهول فلسطين وجبالها ، ومدنها وقراها .

وأما صناعة الصابون فإنها تضعضعت مع الزمن . وقد لا يخلو من فائدة أن نلقى على ماضى هذه الصناعة نظرة ، فنقول :

إن القدس كانت فيما مضى مركزاً من المراكز الهامة فى هذا الشرق ؛ يصنع فيها الصابون ، ويصدر منها إلى مصر والبلاد المجاورة . إذ كان فيها وفيما حولها من الأراضى مساحات واسعة من أشجار الزيتون . وشجرة الزيتون شجرة مباركة جاء ذكرها فى أسفار العهد القديم وفى القرآن الكريم . ومن هنا نشأ حب الأقدمين لزراعة الزيتون . وورث المقدسيون هذا الميل عن آبائهم ، فاعتنوا به . وكان عندهم عدد كبير من معاصر الزيت . وكان الزيت من الكثرة بدرجة أن سكان بيت المقدس كبوا فى سنة من السنين الزيت القديم[1] ليتمكنوا من إيجاد أوعية كافية لخزن زيتهم الجديد . وكانوا يستعملون الزيت للأكل والضوء والعلاج . عملا بالحديث الشريف : « كلوا الزيت وادهنوا به » . ثم راحوا يصدرونه . كما راحوا ينشئون المصابن . واشتهر الصابون القدسى فى أسواق الشرق الأدنى ، ولا سيما فى مصر .

غير أن هذه الصناعة تضعضعت بعد سنة ١٨٧٦ ؛ يوم اكتسحت المدينة أسراب كثيرة من الجراد ، وأتت على قسم كبير من أشجار الزيتون[2] . ثم

---

(١) الوثيقة ٢٠ من مجموعة أسطفان .

(٢) "Jerusalem" by C. Warren. P. 500.

أتى الأتراك فى الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ م) على ما تبقى من تلك الأشجار . استعملوها وقوداً للتدفئة وتسيير القطارات .

وهكذا أصبحت القدس فى المؤخرة . وليس فيها اليوم مصبنة واحدة ، بعد أن كانت فى الطليعة وكانت معروفة بزيتها وصابونها .

وأما صناعة استخراج زيت السمسم (السيرج) فإنها رائجة فى القدس . وكذلك قل عن صناعة قلع الحجارة وقطعها . وصناعة البسكوت والمكرونة . وخبز الفطير .

شركاتها

وكثيراً ما يتكتل التجار وأرباب الصناعات ؛ فيؤلفون شركات بلغ عددها فى عام ١٩٤٥ : ٥٢٣ شركة : منها ٦٦ شركة للتجارة العامة و ٧ شركات للزراعة و ٦٥ شركة لشراء الأراضى و ٤ للسجاير و ١٨ شركة كيمائية و ٥ شركات للخردوات و ٦٣ شركة للأشغال العامة و ٣٧ شركة للطباعة و ١٢ جمعية لنشر العلم والتدريس و ٤ شركات للمشروبات الروحية و ٢٢ شركة ميكانيكية وكهربائية و ٣١ شركة للأقمشة والنسيج و ١٢ شركة للمقاهى والمطاعم و ٩ شركات للأفلام ودور السينما و ٢٤ شركة للنقل والسفر و ١٥ شركة للزيوت والأخشاب و ٤٤ شركة للتأمين على الحياة و ٣ شركات للأحذية والجلود و ٥ شركات للسكب وأدوات الحديد و ٣ شركات للمطاط وشركة للساعات وشركة للحمضيات و ٣ شركات للمياه و ٢٢ شركة للتموين . والباقى شركات ليست لها أهداف معينة .

بنوكها ومصارفها

فى القدس اليوم ستة عشر مصرفاً (بنكاً) إليك أسماءها ، والتاريخ الذى بدأ كل واحد منها بالعمل فيه : بنك كوبات عام (١٩١٨ م) . والبنك العثمانى (١٩١٩ م) . بنك أنجلو — فلسطين (١٩١٩ م) . البنك الفلسطينى للرهن والتسليف (١٩٢٢ م) . البنك المركزى للمؤسسات التعاونية بفلسطين (١٩٢٢م) المجلس الفلسطينى (١٩٢٢ م) . بنك مزراحى (١٩٢٣ م) . بنك فلسطين التجارى (١٩٢٤ م) . بنك باركلز (١٩٢٦ م) . البنك البولونى الفلسطينى (١٩٢٩ م) . البنك العربى (١٩٣٠ م) بنك يعقوب يافت وشركاه (١٩٣٣م) بنك الأمة العربية (١٩٣٣ م) . بنك إيللرين (١٩٣٤ م) . بنك فويخت واغنر التجارى (١٩٣٤ م) . بنك الخصم الفلسطينى (١٩٣٥ م) .

وكان فى القدس قبل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ م) . بنكان : أحدهما (بنك دى روما) وهو إيطالى ، أسس سنة ١٨٨٠ . والثانى (بنك درتمبل كيزلشافت) وهو ألمانى ، تأسس سنة ١٩٢٤ . بيد أنهما أغلقا بسبب الحرب المذكوره .

جمعياتها ونواديها

بلغ عدد الجمعيات والنوادى التى تسجلت فى القدس ، من بدء الاحتلال البريطانى حتى نهاية عام ١٩٤٥ ، ألفين وثلاثة وعشرين . منها ما هو أدبى وثقافى ، ومنها ما هو رياضى ، ومنها ما هو للخير العام ، أو لمصلحة طائفة

من الطوائف دون غيرها . و٨٥ ٪ من هذه الجمعيات والنوادى فلسطينية و١٥ ٪ أجنبية . ومن الجمعيات والنوادى الفلسطينية ٣٠ ٪ إسلامية و ٢٠ ٪ مسيحية و ٣٥ ٪ يهودية .

بريدها

كان فى القدس ، على عهد الأتراك ، مصلحة للبرق والبريد . وكان يقوم إلى جانب هذه المصلحة مؤسسات أجنبية تقوم بخدمات البريد فيها . ولكن هذا الامتياز الذى كانت تتمتع به بعض الدول الأجنبية ألغى عند الاحتلال البريطانى . فأخذت الحكومة المنتدبة على نفسها خدمات البرق والبريد والهاتف ، فجددت خطوط البرق (١٩١٨) . وأنشأت ، فى تلك السنة أيضاً ولأول مرة فى تاريخ القدس ، شبكة تلفونية . وبعد أن كانت هذه منحصرة فى مصالح الحكومة ودواوينها الرسمية ولم يجاوز عددها ١٦٣ ، أصبح فى المدينة ، سنة ١٩٤٧ : ٥٨٣٦ آلة للتلفون .

والقدس مرتبطة الآن ، من حيث المخابرات ، مع البلاد العربية المجاورة ومع القارتين الأوربية والأميركية بالبر والبحر والهواء . ولها مطار على طريق رام الله — القدس ، وعلى بعد عشرة كيلومترات من الأخيرة إلى الشمال .

وفى القدس اليوم محطتان للإذاعة : واحدة باسم محطة القدس للإذاعة الفلسطينية ، وتذاع منها الأخبار باللغات الرسمية الثلاث : العربية والعبرية والإنجليزية والثانية باسم محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية ، وتذاع منها الأخبار باللغة العربية فقط . أما الأولى فقد أسست عام ١٩٣٦ وهى خاضعة لحكومة فلسطين ، وتعتبر

فرعاً من فروع مصلحة البرق والبريد العامة . إلا أنها فصلت عنها عام ١٩٤٥ ، وأصبحت مصلحة مستقلة ، إلا أنها ظلت خاضعة للحكومة . وهناك فى رام الله محطة تلتقط ما يذاع من القدس وترسله إلى سائر أنحاء العالم . وكذلك قل عن محطة الشرق الأدنى تلك المحطة التى كانت فى أوائل الاحتلال البريطانى تعمل فى يافا ، ثم انتقلت إلى القدس ، ومنها نقلت فى أواخر الاحتلال إلى جزيرة قبرص ، وهى محطة إنجليزية .

بلديتها

(البلدية) هى الأداة الحكومية المحلية التى تشرف على شؤون المدينة ، وتعنى براحة السكان ؛ فتنشئ الطرق والمجارى وتصونها من العبث ، وتنظف الأزقة والشوارع وتنيرها ، وتنشئ الحدائق والميادين ؛ وترتب الأسواق ، وتحدد أسعار الحاجات ، وتراقب المكاييل والأوزان والمقاييس ؛ وتشرف على وسائل النقل ، ومسائل البناء والعمران ؛ وتنظم المسالخ ، والمحارق ؛ وتوزع المياه على السكان .

روى المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن تم على يده فتح القدس راح يتجول فى شوارعها ويفتش أسواقها . وأنه رتب أمورها على أساس من التنظيم الإدارى والقضائى ؛ ففرض الفروض ، وأعطى العطايا ، ورتب البريد ، وأقام العيون ، وعين قاضياً (مفتشاً) يطوف على المأمورين ويحقق فى الشكاوى . وأنه أسس الحسبة (البلدية) وعين المحتسبين لمراقبة الموازين والمكاييل ، لمنع الغش ، وتنظيف الأزقة والكنف ؛ والرفق بالحيوان . وأنه هدم البناء المحدث فى وسط السوق ، وحظر على الناس الازدحام فى الطرق . وحثهم على التجارة ، فقال :

« لاتلهينكم الرياسة وحبها . ولا يغلبنكم الغرباء على التجارة . فإنها ثلث الإمارة » . وبعد أن رتب الأمور ، ووضع كل شيء فى نصابه رجع إلى المدينة .

ذلك كان أول عهد لمدينة القدس بالحسبة، وبعبارة أخرى بالإدارة التى عرفت بعدئذ بـ (البلدية) .

ولقد أضيف هذا النوع من الأعمال البلدية ، فى العهد الفاطمى ، إلى الشرطة . فحدثنا المقدسى أنه كان يقف على أبواب القدس على عهده (فى أواخر القرن العاشر) حراس يجبون الرسوم عن البضائع والخضر التى يستوردها التجار. وقرأنا فى الكتب الشيء الكثير عن الحسبة والمحتسبين على عهد المماليك .

ولقد اهتم الأتراك بالشؤون البلدية ، وجعلوها فى بادئ الأمر ، تحت إشراف قضاة الشرع . وفى السجلات المحفوظة فى المحكمة الشرعية بالقدس أمثلة كثيرة لما نقول . فقد قرأنا فى هذه السجلات أن محتسب القدس تاج الدين رفع إلى المحكمة الشرعية شكواه ضد إبراهيم بن خليل من قرية شعفاط لأنه باع قمحاً مختلطاً بفضول . . . وأن المعلم عمر بن الحاج محمد الجمال انتدب معماراً مسؤولا عن عمارة السور . . . وأن القاضى حسام الدين عين بحضور المحتسبين أسعار الحاجيات من خبز ولحم وزيت وسمن ودبس وجبن وصابون ، حتى الكنافة والخضر والحديد والفولاذ . . . وأنه عاقب التجار الذين باعوا هذه الحاجيات بسعر أكثر من السعر المقرر . . . وكذلك قل عن الذين غشوا زيتهم وسمنهم ...

ليس هذا فحسب . فقد قرأنا فى السجلات المتقدم ذكرها أن القاضى كان يعين (مقدم العتالين) . يعينه بعد استشارة المحتسب . وما كان لعتال أن يتعاطى مهنة العتالة فى القدس إلا بإذن منه .

ويظهر أن أعمال البلدية انفصلت بعدئذ عن المحاكم الشرعية . واكتسبت شكلا أقرب إلى النظام .

فقد سمعنا بتاريخ ١٨٦٣ م ، عن أول بلدية تألفت فى القدس. وكانت هذه عبارة عن هيئة محلية صغيرة ، ذات سلطة محدودة ، وواردات ضئيلة لم تجاوز ٥٠٠ ليرة عثمانية فى السنة . وأن أول نظام عثمانى صدر وفيه تصريح عن البلديات هو نظام الولايات (١٨٦٤م) ثم نظام إدارة الولايات (١٨٧١م) . وبعدئذ ظهر قانون انتخاب المجالس البلدية (١٨٧٥ م). وراح دافعو الضرائب ، بعد ذلك التاريخ يمارسون حقهم فى انتخاب الأعضاء . وكان المتصرف يختار الرئيس من بين هؤلاء الأعضاء . ووضعت الحكومة بعد ذلك بسنتين (١٨٧٧ م) قانوناً أسمته (قانون البلديات) ودامت الحال على ذلك المنوال حتى الحرب الكونية الأولى .

وإليك أسماء الأشخاص الذين تولوا رياسة البلدية فى ذلك العهد (١٨٦٣ — ١٩١٣ م) :

١ — عبدالرحمن أفندى الدجانى . ٢ — الخواجا استربادى . ٣ — موسى أفندى فيض الله العلمى . ٤ — يوسف ضياء الدين باشا الخالدى . ٥ — عبدالقادر أفندى الخليلى . ٦ — عمر أفندى عبد السلام الحسينى . ٧ — سليم أفندى الشاكر الحسينى . ٨ — شحادة أفندى فيض الله العلمى . ٩ — سليم أفندى الحسينى . ١٠ — زكى أفندى الدجانى . ١١ — ياسين أفندى الخالدى . ١٢ — محمد يوسف أفندى العلمى . ١٣ — سعيد أفندى الحسينى . ١٤ — محمد صالح أفندى الحسينى . ١٥ — فيض الله أفندى العلمى . ١٦ — حسين سليم أفندى الحسينى .

والأول والثانى والخامس والسابع والعاشر والثانى عشر والرابع عشر عينوا من لدن المتصرف تعييناً ، وأداروا البلدية بالوكالة . وأما الآخرون ، وهم الذين أشرت إليهم بخط تحت أسمائهم ، فقد انتخبوا انتخاباً .

وفى أثناء الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٧ م) منح المتصرفون حق انتخاب الرئيس ، لا من غير الأعضاء فحسب ، بل ومن خارج فلسطين إذا

اقتضى الأمر . وإليك أسماء الأشخاص الذين انتدبوا للرياسة خلال تلك الحقبة من الزمن :

١ــ شاكر بك أرطغرل ٢ــ جميل بك الحلبي ٣ــ ضياء الدين بك ٤ــ صادق بك ٥ ــ عارف باشا الدجاني ٦ ــ أحمد عارف الحسيني ٧ــ إسحق أفندي الشهابي ٨ ــ حسين سليم أفندي الحسيني .

وكانت ميزانية البلدية في أوائل عهد تنظيمها (١٨٦٣ م) ضئيلة لا تجاوز الخمسمئة ليرة. ثم ارتفعت فبلغت عند إعلان الدستور (١٩٠٨ م) عشرة آلاف ليرة . ووصلت في أوائل الحرب الكونية الأولى (١٩١٤م) إلى أحد عشر ألفاً . وكانت عند الاحتلال البريطاني خمسة عشر ألفاً .

وسار البريطانيون ، بعد الاحتلال ، على الخطة التي سار عليها الأتراك في أواخر عهدهم . فراح دافعو الضرائب من الأهلين ينتخبون ممثلهم في المجلس البلدي . وكان عدد الأعضاء أربعة من العرب واثنين من اليهود . وراحت الحكومة تختار من هؤلاء الأعضاء رئيساً . وكان هذا مسلماً على الدوام . فتولى الرياسة في بادىء الأمر حسين سليم أفندي الحسيني ، ثم تولاها موسى كاظم باشا الحسيني ، فراغب بك النشاشيبي .

وفي سنة ١٩٢٦ م . سنت الحكومة قانوناً للبلديات فجعلت عدد الأعضاء اثني عشر . وجرى الانتخاب بموجب ذلك القانون في ١١ نيسان ١٩٢٧ . فانتخب الأشخاص الآتية أسماؤهم : راغب النشاشيبي ، زكي نسيبة ، سعدالدين الخليلي ، جمال الحسيني ، الدكتور حسام الدين أبو السعود (عن المسلمين) .

يعقوب فراج ، فرنسيس بطاطو ، نخله كتن (عن المسيحيين) . حايم سلامون ، إسحق بن زفي ، إلياهو شماع (عن اليهود) . واختارت الحكومة من بين هؤلاء راغب النشاشيبي رئيساً .

وعدل القانون عام ١٩٣٤ . فجرت الانتخابات على طريقة تمثيل المناطق ، وقسمت المدينة إلى اثنتى عشرة منطقة انتخابية . وكان عدد الناخبين الذين سجلت أسماؤهم كما يلى :

عدد الناخبين		عدد الممثلين
٢٨٢٥	من المسلمين	٤
١٥٨٦	من المسيحيين	٢
٤٣٩٢	من اليهود	٦
		١٢

وخول المندوب حق تعيين ما لا يزيد على اثنين فى المجلس البلدى ، بالإضافة إلى الأعضاء المنتخبين . وأسفرت الانتخابات عن فوز الأشخاص الآتية أسماؤهم :

الدكتور حسين فخرى الخالدى ، سعد الدين الخليلى ، حسن صدقى الدجانى ، إبراهيم درويش (عن المسلمين) .

يعقوب فراج ، أنسطاس حنانيا (عن المسيحيين) .

دانيال أوستر ، حايم سلامون ، شموئيل عدن ، أبراهام المالح ، يوسف حاخام شويلى ، إسحق بن زفى (عن اليهود) . فانتدب الدكتور حسين الخالدى رئيساً ، وكل من دانيال أوستر (عن اليهود) ويعقوب فراج (عن المسيحيين) نائباً للرئيس . فاهتم هذا المجلس بالمدينة القديمة ، ورصف معظم شوارعها بالأسفلت .

وارتفعت أرقام الميزانية من ١٤٦,٤٣٦ جنيهاً فى عام ١٩٣٥ إلى ١٩٠,٨٦٩ فى عام ١٩٣٧ . هذا من حيث الواردات . وأما من حيث النفقات فقد ارتفعت من ١٠٩,٣٧٢ فى عام ١٩٣٥ إلى ١٥٤,٣٦٧ فى عام ١٩٣٧ .

ولما اعتقلت الحكومة الرئيس الدكتور الخالدى بسبب نزعته الوطنية ، ونفته مع من نفتهم من زعماء البلاد ، إلى جزيرة سيشل (١٩٣٧ م) . عهدت بالرياسة

إلى مصطفى بك الخالدى . ولما توفى هذا سنة ١٩٤٤ تسلمها بالوكالة العضو اليهودى الآدون دانيال أوستر . فما كان من الأعضاء العرب إلا أن استقالوا . إذ لم يسبق للمجلس البلدى فى القدس أن ترأسه يهودى . عندئذ ألغت الحكومة المجلس ، وعينت (فى ١١ تموز ١٩٤٥) لجنة بلدية رئيسها وجميع أعضائها من الإنجليز . وهم :

المستر ولستر	— المدير العام لمصلحة البرق والبريد (رئيساً)	
الدكتور مكوين	— المدير العام لمصلحة الصحة	
المستر قروك	— نائب مدير الأشغال العامة	أعضاء
المستر هيلتون	— نائب حاكم لواء القدس	
المستر ديوبس	— مساعد السكرتير العام	

وكانت المبالغ التى حصلتها بلدية القدس عن طريق الضرائب والرخص والخدمات المتنوعة التى قامت بها خلال السنة المنتهية فى ٣١ آذار ١٩٤٦ كما يلى :

	جنيه فلسطينى	النسبة المئوية
أثمان المياه	١٤٠,٨٠٥	٪ ٢٧,٠٢
ضريبة الأملاك	١٣٣,٤٢٥	٪ ٢٥,٦١
أمانات واردة وسلفات مستردة	٨٤,٢٨٥	٪ ١٦,١٧
مساعدات حكومية	٤٠,٠٠٠	٪ ٧,٦٨
رسوم ورخص	٢٩,٣١٥	٪ ٥,٨٠
خدمات صحية (رسوم ذبح الحيوانات وتفريغ المراحيض)	٢٦,٤١٠	٪ ٥,٠٧
متفرقة	١٦,٦٣٥	٪ ٣,١٩
رخص الحرف والمهن	٢٠,٠٧٥	٪ ٣,٨٥

	جنيه فلسطيني	النسبة المئوية
ضريبة المعارف	١١,٥٨٥	٪ ٢,٢٣
ضريبة المجارى	٦,٦٤٥	٪ ١,٢٨
مجارى القدس	٥,٨٤٥	٪ ١,١٢
إجارات أملاك البلدية	٤,٠٢٠	٪ ٠,٧٧
فوائد	١,٠٧٥	٪ ٠,٢١
	٥٢٠,١٢٠	٪ ١٠٠

وأما المبالغ التى تكبدتها البلدية لقاء رواتب الموظفين ونفقات الإنشاء والتعمير فقد بلغت ، خلال السنة نفسها ، ٤٧٥,٩٢٠ جنيهاً فلسطينياً .

القدس من الناحية الإدارية

القدس من أكبر المدن الفلسطينية وأكثرها أهمية . إنها من الناحية الإدارية ليست مركزاً للواء الأول المعروف بلواء القدس فحسب . بل هى عاصمة فلسطين بأجمعها . وفلسطين واقعة تحت الانتداب البريطانى . يديرها مندوب سام(١) أقامته بريطانيا بوصفها الدولة التى انتدبتها عصبة الأمم لإدارة البلاد . ويساعده فى إدارته مجلسان : مجلس استشارى ، وآخر تنفيذى . فالمجلس الاستشارى مؤلف من المندوب السامى (رئيساً) والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالى ، ومدير البوليس ، ومدير الصحة ، ومدير الأشغال ، ومدير المعارف ، ومدير الزراعة ومصايد الأسماك ، ومدير الجمارك والتجارة والمكوس ، ومدير السكك الحديدية ، وحكام الألوية ، ومدير البرق والبريد ، ومفوض

---

(١) ذكرنا فى غير هذا الموضع من الكتاب أسماء جميع المندوبين الذين تولوا حكم فلسطين فى عهد الانتداب ، وأهم الحوادث التى وقعت على عهد كل واحد منهم .

مصلحة الإحصاء والمهاجرة ، ومدير تسجيل الأراضى ، والمستشار الاقتصادى ، ومدير مصلحة العمل (أعضاء) .

وأما المجلس التنفيذى فمؤلف من المندوب السامى (رئيساً) والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالى ، وحاكم لواء القدس فقط (أعضاء) .

والقدس كما قلنا مركز للواء الذى يحمل نفس الاسم : لواء القدس . وهو مؤلف من أربعة أقضية هى : (١) القدس (٢) بيت لحم — أريحا (٣) خليل الرحمن (٤) رام الله .

أما قضاء القدس فيتبعه ٦٦ قرية هى : أبو ديس . أم طوبا . بتير ، بيت دقو . بيت حنينا . بيت أجزا . بيت أكسا . بيت عنان . بيت جمال . بيت محسير . بيت نقوبا . بيت صفافا . بيت سوريك . بيت ثول . بيت أم الميس . بدو . بيرنبالا . البريج . جبعة . جريش الجيب . الجديرة . الجورة . حزما . خربة اسم الله . خربة العمور . خربة اللوز . دير أبان . دير الشيخ . دير رافات . دير يسن . دير عمرو . رافات . الرام . ساريس . سلوان . شرفات . شعفاط . أشوع . صاطاف . صوبا . صرعة . صورياهر . الطور . عسلين . العيزرية . العيسوية . عين كارم . عين رافا . عرطوف . عقور . لفتا . عناتا . العنب . قالونيا . قطنة . قلندية . القسطل . القبيبة . كسلا . كفر عقب . المالحة . مخماس . النبى صموئيل . نطاف . الوبلحة .

وهناك عشيرة واحدة هى : السواحرة . وثمانى مستعمرات يهودية هى : موتزا الفوقا . موتزا التحتا . رامات راحيل . معلى . قريات عنافيم . نبى يعقوب . عطاروت . هارطوف . وتشغل هذه القرى والمستعمرات مساحة قدرها ٥٥٨,٦٤٧ دونماً .

وأما قضاء بيت لحم — أريحا . ففيه أربع نواح هى : بيت لحم . بيت جالا . بيت ساحور . أريحا . وبيت عشرة قرية هى : أرطاس . بيت فجار . بيت

عطاب . البحر الميت . الخضر . حسان . راس أبو عمار . دير الهوى . السفلى . علار . العوجا . القبو . المغطس . نحالين . النويعمة . وادى فوكين .

وهناك سبع عشائر هى :— الرشايدة . العبيدية . التعامرة . الديوك . العريقات . السعايدة . النصيرات . وأربع مستعمرات يهودية هى : كوتسات هاهوكيم . كفار عصيون . ماسوت . كاليا .

وأما قضاء الخليل فيتبعه ٣٥ قرية هى : أدنا . بيت جبرين . بيت نتيف بيت كاحل . بيت أولا . بيت أومر . برقوسيا . بنى نعيم . تفوح . ترقوميا . تل الصافى . جبعة . حلحول . خاراس . دير الدبان . دير نحاس . الدوايمة . دورة . رعنا . الريحية . زكريا . زكرين . زيتا . سعير . سنابرة وأم برج . السموع . الشيوخ . صوريف . الظاهرية . عجور . القبيبة . كدنا . مغلس . نوبا . يطا .

وهناك ثلاث عشائر هى : الجهالين الزويديون . الجهالين الفرحات . الصرايعة .

وأما قضاء رام الله فيتألف من مدينتين هما : — رام الله والبيرة . ومن ٥٨ قرية هى : أبلو شخيدم . أبو قش . أم صفا . برقا . بيتين . بير زيت . برهام . بيت ريما . بيتللو . بيت عور الفوقا . بيت عور التحتا . بيت سيرا . بيت لقيا . بيتونيا . ترمسعيا . جفنا . جمالا . الجانية . جلجليا . جيبيا . خربة أبو فلاح . خربتا المصباح . دورا القرع . دير دبوان . دير بزيع . دير جرير . دير عمار . دير أبو مشعل . دير نظام . دير السودان . دير غسانة . رأس كركر . رمون . سلواد . سنجل . سردة . صفا . الطيبة . الطيرة . عبوين . عين سينيا . عارورة . عجول . عين قينيا . عير عريك . عابود . عين يبرود . عطارة . قراوة . كفر نعمة . كفر مالك . كفر عين . كوبر . المزرعة القبلية . المزرعة الشرقية . مزارع النوبانى . النبى صالح . يبرود .

وليس فى قضاء رام الله عشائر بدوية ، ولا مستعمرات يهودية .

وفى القدس اليوم (١٩٤٧ م) عشرة آلاف موظف بين كبير وصغير ومن جميع الأجناس والأديان. بعضهم مسؤول عن إدارة فلسطين كلها. والبعض الآخر عن إدارة قطاع القدس فقط.

قوات الأمن فيها

وفى قطاع القدس قوة كبيرة من البوليس لحفظ الأمن. فى المدينة، مثلا، ثمانية مراكز للبوليس؛ فيها بن الضباط وافراد الشرطه ما نكتبه فى البيان التالى:

رقم المركز	اسم المركز	عدد أفراد الشرطه				عدد الضباط			
		إنجليز	عرب	يهود	مجموع	إنجليز	عرب	يهود	مجموع
١	قشلاق باب الخليل	٤٠	٨٠	—	١٢٠	١	١	—	٢
٢	حارة اليهود	—	—	٢٥	٢٥	—	—	١	١
٣	الحرم	—	٦	—	٦	—	١	—	١
٤	مياشوريم	٧٠	١٢	٢٥	١٠٧	١	١	—	٢
٥	محنة يهودا	٨٠	٩٥	٦٠	٢٣٥	١	—	١	٢
٦	كولونية الألمان	٥٠	٣٣٠	١٣	٣٩٣	١	١	—	٢
٧	أنجلو بالستين	٢٥٠	٢٢٥	٩٣	٥٦٨	١	١	—	٢
٨	المركز	—	—	—	—	٨	—	—	٨
		٤٩٠	٧٤٨	٢١٦	١٤٥٤	١٣	٥	٢	٢٠

وعلى رأس هذه القوة نائب لمدير البوليس العام يحمل تاجاً، وهو إنجليزى. وخمسة مساعدين للنائب بثلاث نجوم. وهؤلاء أيضاً إنجليز، ومفتشان أولان بنجمة واحدة هما أيضاً إنجليز. وبلغت نفقات قوة البوليس فى مدينة القدس فى آخر سنة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧ م) ٩٦،١٥٠ جنيهاً فلسطينياً.

وأما فى الأقضية التالية لقطاع القدس . فإليك مجموع الأفراد والضباط فى كل منها :

	أفراد	ضباط
بيت لحم وقراها	٢٥٨	٨
أريحا وقراها	١٦١	٢
الخليل وقراها	١٢٦	٨
رام الله وقراها	١٩١	٣

وبلغت نفقات البوليس فى لواء القدس كله وفى آخر سنة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧ م) ٤٩٨,٦٢٠ جنيهاً فلسطينياً . وعلى رأس هذه القوة مدير إنجليزى . يتبع فى أعماله الأوامر التى يتلقاها من مدير الأمن العام .

وهناك فى القدس سجن للرجال ، يعمل فيه مئة وعشرة من رجال البوليس ؛ خمسة منهم ضباط (ثلاثة إنجليز وعربيان) ، ومئة وخمسة أنفار برتب مختلفة :

خمسة عشر منهم إنجليز ، وسبعون عربيا ، وعشرون يهوديا . وأما سجن النساء فإنه فى بيت لحم . فيه واحد وأربعون سجاناً وسجانة : خمسة إنجليز ، والباقون عرب .

والمقر العام لقوة البوليس الفلسطينية فى عمارة كبيرة من عمارات المسكوبية . تلك العمارات القائمة بين الأحياء العربية واليهودية . يعمل فيه ثمانية مديرون بتاج ونجمة (ستة إنجليز وعربيان) وعشرة نواب للمديرين بتاج (سبعة إنجليز وعربيان ويهودى واحد) وعشرة مساعدون لنواب المديرين بثلاث نجوم (ثمانية إنجليز وعربيان ويهودى واحد) وستة عشر مفتشاً أولا بنجمتين (تسعة إنجليز وخمسة عرب ويهوديان) ومئة وخمسون كاتباً من مختلف الدرجات والرتب (خمسة عشر إنجليز وتسعون عرب وخمسون يهود) .

وعلى رأس هذه القوة مفتش عام للبوليس والسجون بتاج وسيفين هو الكولونيل غرى Colonel Grey .

ولقد بلغت نفقات هذه القوة (أى قوة البوليس فى فلسطين كلها) فى آخر سنة من سنوات الانتداب (١٩٤٧ — ١٩٤٨) ٧,٠١٠,٥٠٨ جنيهات هذا من ميزانية بلغت مجموع نفقاتها فى تلك السنة ٢٤,٦٣٥,٠٦٦ جنيهاً .

وكثيراً ما كان حبل الأمن يضطرب فى القدس ، وفى سائر مدن فلسطين ، بسبب اقتتال العرب واليهود . فتعجز قوات البوليس التى ذكرناها فى الأسطر المتقدمة عن تهدئة الفتنة . وفى مثل تلك الحال كان الجيش البريطانى ينزل إلى الميدان . وكان هذا يرابط فى قشلاق تلافيرا ، فى البقعة الفوقا ، على طريق القدس — بيت لحم .

مستوى المعيشة فيها

من الإنصاف أن نذكر أن سكان القدس بالرغم من اليأس الذى ألمّ بهم بسبب السياسة التى اتبعتها الحكومة طوال عهد الانتداب ، يعيشون فى رغد من العيش . لا بل أستطيع أن أؤكد أن مستوى المعيشة فى القدس أرقى منه فى غيرها من المدن المجاورة العربية . فليس فيها عمال عاطلون عن العمل « تجارة رائجة . . وأعمال متوفرة . . وأموال كثيرة . . ومنازل واسعة . . ورياش فاخرة . . واجتماعات وحفلات وسهرات تنم عن هناء البال » .

ويعتمد أبناء القدس فى معيشتهم على موارد مختلفة . منها وأهمها السياحة ، ورواتب الموظفين ، والمهن الحرة ، ثم تأتى الزراعة ، والتجارة ، ومقالع الحجارة وأعمال البناء . . . .

أما السياحة ، فإنها من أغنى الموارد . إذ يحج إلى القدس فى كل عام عدد كبير من السياح والزائرين . . يفدون إليها من مختلف أنحاء المعمورة . . من الشرق والغرب . . . فيزورون الأماكن المقدسة ويعودون إلى بلادهم . ولقد قدرت الحكومة فى إحصائها الرسمى عدد السياح الذين دخلوا فلسطين فى الأعوام العشرة التى مرت بين ١٩٢٦ و ١٩٣٦ بما يقرب من خمسين ألفاً فى السنة . فإذا ما قدرنا أن جميع هؤلاء السياح يهبطون القدس ، إذ أن الغاية من زيارتهم كما قدمنا زيارة الأماكن المقدسة ، وهذه لا تتحقق إلا بزيارة القدس — وأن معدل ما ينفقه الواحد منهم فى زيارته لهذه المدينة لا يقل عن عشرين جنيهاً ، علمنا أن إيراد القدس من هذا المورد لا يقل عن مليون جنيه فى السنة .

وأما الرواتب التى يتقاضاها الموظفون ، سواء أكان هؤلاء من أبناء القدس أم ممن وفدوا إليها بقصد العمل فى مختلف المصالح التجارية والدواوين الرسمية فإنها مورد غزير لا يستهان به . لا بل إنه قد يفوق الموارد الأخرى . أنه وإن لم تكن لدينا أرقام موثوقة عن الموظفين المستخدمين فى مختلف المصالح التجارية ، إلا أننا نستطيع الجزم — استناداً إلى ما لدينا من أرقام رسمية — أنه يعيش فى القدس فى يومنا هذا (١٩٤٧ م) عشرة آلاف موظف حكومى فى رتب ودرجات مختلفة وأن الأموال التى ينفقها هؤلاء فى المدينة من أجل إعاشتهم وإعاشة عيالهم وملابسهم ومساكنهم من الضخامة بحيث تستحق التدوين .

وأما الزراعة فإنها ليست بذات بال فى المدينة المقدسة . هذه المدينة التى قاست على مر الدهور ، الأمرّين من جراء قلة الماء . وهى تعتمد فى زراعتها على مياه الأمطار . ومع ذلك فإنها اشتهرت بزراعة الزيتون والعنب والتين وما إلى ذلك من الأشجار المثمرة . وكانت هذه الأشجار تزرع فى القدس وما حولها من الأراضى بكثرة . إلا أنها أخذت مع الوقت تتضاءل . فقد جاء فى الإحصاء الرسمى أن مساحة الأراضى المغروسة زيتوناً فى قطاع القدس بلغت (١٩٣٥ م)

٣١,٣٨٨ دونماً ، وأن عدد الأشجار التى غرست فيها ٤٠٨,٠٤٤ شجرة ، وقدر محصول الزيت بـ ٦٦١ طناً .

وأما مساحة الأراضى التى غرست عنباً فى السنة نفسها (١٩٣٥ م) فقد قدرت بـ ٦,٥٧٩ دونماً ، وأنتجت ٣,٩٩٠ طناً من العنب .

وأما الأراضى التى غرست تيناً ، فقد بلغت مساحتها ٣,٦٥٣ دونماً فيها من الأشجار ٥٤,٧٩٥ شجرة ، وكان ناتجها ٦٢٥ طناً .

وأما حركة البناء والعمران فحدث عنها ولا حرج . إنها تدر على القدس أموالا كثيرة . فإن الازدياد المستمر فى عدد السكان جعل حركة البناء أيضاً فى تقدم مستمر . وعادت هذه بالربح الوفير لا على العمال والبنائين فحسب ، بل على تجار الخشب والحديد والأسمنت وسائر مواد البناء ، وعلى أصحاب مقالع الحجارة ، فإن القدس مليئة بهذا النوع من المقالع . ويخرج منها أنواع كثيرة من الحجارة ذات الأنواع والألوان المختلفة . وحجر القدس من أحسن الحجارة وأجملها وأقواها . ولا سيما النوع المعروف بالحجر المزى الصلب ، ومن اللون الأحمر . ويشتغل فى هذه المحاجر عدد كبير من أصحاب الأراضى والعمال الخبيرين فى قلع الأحجار وقطعها وتهذيبها وبنائها ، وجميعهم من العرب . والعامل العربى فى يسر . يتقاضى أجراً لا بأس به إذا ما قيس بالأجور التى يتقاضاها العمال فى البلاد الأخرى . فقد بلغ أجر العامل فى اليوم الواحد ٧٥٠ ملا . وأكثرهم عمال البناء . فواحدهم يتناول جنيهاً واحدا فى اليوم . وأقل العمال أجوراً هم عمال الطرق . فإن الواحد منهم يتقاضى ٢٥٠ ملا . وما كانت القدس تعرف ساعات العمل . لا ، ولا كان فيها قوانين للعمال . وأما اليوم فإن ذلك كله مرتبط بنظام .

والتجارة رائجة . وفى القدس عدد كبير من التجار يملكون ثروات طائلة . وما عرف هؤلاء الركود والإفلاس سوى مرة أو مرتين خلال الثلاثين سنة .

ومع هذا فإن نفقات العيش فى القدس غالية بمقدار ما فيها من حركة ربح . فإن الأسرة الواحدة المؤلفة من خمسة أشخاص (رب بيت وامرأته وأولاده الثلاثة) لا يكفيها من أجل عيشها عيشة شريفة راضية أقل من ثلاثين جنيها فى الشهر .

ذلك لأن مستوى المعيشة قد ارتفع فى السنين الأخيرة ارتفاعاً يلفت الأنظار . وحدث ، منذ الحرب ، تغيير فى ذوق أبناء المدينة من حيث اللباس والطعام والأثاث المنزلى . وهم من الرقى والتمدن على جانب عظيم يقرأون من الكتب والمجلات أكثر بكثير مما يقرؤه أبناء الشرقيين — الأوسط والأدنى ، والمتعلمون الذين أرسلهم آباؤهم للدراسة فى جامعات الغرب كثيرون وعددهم ما برح فى ازدياد مستمر .